للقتل لحن

منة الشرقاوي

اسم الكتـــاب : للقتل لحن

التأليـــــــف : منة الشرقاوي

إخـــراج فنـــي : هيام فهيم

رقم الإيـــداع : 2019 / 26107

الترقيم الدولي : 978-977-835-168-2

صادرة عن

زحمة كتّاب بالتعاون مع اسكرايب للنشر والتوزيع

Facebook : اسكرايب للنشر والتوزيع

Email : scribe20199@gmail.com

Tel : 002 01005079256

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ©

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة
بأي شكل من الأشكال
ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

لغة الموسيقى مما لا شك فيه مثيرة، فهي تثير أحاسيسك عند سماعها، فترفعك إلي شعور ما، تجعلك هائمًا، حالمًا، سابحًا في بحر الخيال محملًا بسفن الذكريات، فتراقصك أمواجه تارة، وتتلاطم بأحزانك تارة أخرى، ترسو بك إلى ماضٍ قاتم يلاحقك، وربما واقع مجهول ترسم معالمه بشغف يخالطه الأمل، كل لحن سيجرفك نحو شعورٍ محدد، أما هذا اللحن فور وقوعه على مسامعي، اعتراني شعورٌ جديدٌ، انسياب تام للمشاعر من جسدي حتى أصبحت مجردة تمامًا.

للقتل لحن

منة الشرقاوي

الإهـداء

"إلى كل من أراد توارث الانتقام وغرس القبح بأرض الواقع...
أرجوك أعد التفكير مجددًا".

شكر خاص..

إلى عائلتي التي دومًا تدعمني بكل حب وتمني لي كل مواهبي..
إلى أعز صديقاتي "دنيا الكومي" التي وثقت بي من اللحظة الأولى ولم تتركني، هي بمثابة أخت لي، أحبك.
إلى أصدقائي جميعهم الذين شجعوني كثيرًا..
إلى مديرة مدرستي فاتن سرور وجميع المدرسين بها..
وعلى وجه الخصوص:
محمد كامل - كمال إبراهيم - محمد قطب - محمود البحار – خالد صبحي - والشاعر أحمد منصور.

****

(١)

منذ عشر سنوات:

أُدعى كمال حسين، دكتور بالطب النفسي، أبلغ من العمر ثلاثين عامًا، كنت جالسًا بالعيادة حتى طرق أحدهم الباب؛ إنها زوجتي الصحفية نرمين سامح تخبرني أنها ستسافر الآن، بيدها الكاميرا المفضلة لديها، أعلم ماذا يحدث عند ذلك!

نرمين:

ـحبيبي، سأتصل بك لاحقًا للأطمئنان على نغم، والآن علينا أخذ صورة.

كمال:

ـأنا مشغولٌ الآن، نأخذ الصورة لاحقًا.

نرمين وهي تجذبني من ذراعي:

ـليس مبررًا.

كمال بتأفف:

ـتعلمين كم أكره التصوير، لكن حسنًا.

ابتعدت عدة خطوات ووجهت الكاميرا أمامه:

ـاِعْبِسْ أكثر.

نظر لها بعدم فهمٍ:

_ماذا؟!

نظرت لي:

_يجب أن ترى وجهك حين تعبس كي تعلم كيف أعاني!

ابتسم وقال:

_حسنًا.

اقتربت منه ووجهت الكاميرا نحوهما ثم أخذت الصورة قالت ممازحة:

_أتمنى أن تبتسم دومًا فربما لن أكون هنا لأصورك المرة القادمة.

نظر للأرض وقال بصوتٍ منخفضٍ:

_أتمنى ذلك.

نرمين بحَنق:

_ كمال!!

نظر لها وأردف مسرعًا:

_أعني أني لن أبتسم إلا لكِ يا عزيزتي، أعتقد أن الطائرة أوشكت على الأقلاع.

نرمين بتحدٍ:

_حسنًا، ثم وضعت قُبلة على خده، وانصرفت في عجلة من أمرها.

****

(٢)

جلست في المطار أحتسي القهوة وألقي بنظرة وداع باردة لكل شيء، بينما يتنابني فضول لرحلتي الجديدة، إنها المرة الأولى التي سأذهب فيها خارج البلاد لفندق على الطراز الفيكتوري، كي أكتب عنه مقالًا بالجريدة، وربما لالتقاط بعض الصور، لقد أرسلت الجريدة اثنين لتلك الرحلة وصاحب المقال الأفضل بيننا سيأخذ صاحبه ترقية إذًا، قبلت التحدي.

صعدت على مَتن الطائرة، يجتاحني شعورٌ بالغرابة ممزوج بالوحدة، جلس بجانبي شاب يبدو في مقتبل عمره، أخرجت الكاميرا أنظر لتلك الصورة التي أخذتها مع كمال، بينما ترتسم على وجهي ابتسامة هادئة تلاشت حين قال الشاب:

_هذا زوجك؟

نظرت نحوه وقالت بحدة:

_عفوًا؟!

الشاب:

_لَمَ لا تتصورين على هاتفك؟ لا أقصد التدخل ولكنكِ غريبة!

أدارت وجهها وقالت:

ـأحب التصوير بالكاميرا، لها لذةٌ أخرى بنسبة لي.

الشاب:

ـإلي أين ستذهبين بالمدينة؟

نرمين بتأفف:

ـأيهمك الأمر؟

الشاب بضيقٍ:

ـكنت سأرشح لك بعض الأماكن للتصوير، فأنا ذاهب لفندق على الطراز الفيكتوري بوسعك أن...

قاطعته نرمين:

ـلحظة، أنت من جريدة المجتمع؟

الشاب:

ـنعم، أنت تعرفينني؟

نرمين:

ـأنا معك بتلك الرحلة.

الشاب بدهشة:

ـحقًا؟! تشرفت بك ومد يده لمصافحتها.

نرمين:

ـأنا نرمين، الشرف لي وصافحته.

الشاب:

ـوأنا شريف، لكن تذكري الترقية لي.

نرمين بضجرٍ:

ـأنتم أشخاص سطحيون للغاية، تسعون وراء المال والمناصب، يبدوهذا سخيفًا.

شريف باستنكار:

ـإذًا لمَ أنتِ هنا؟

نرمين بتحدٍ:

ـأسعى وراء المغامرة.

شريف:

ـربما تكون غير آمنة؟

نرمين بثقةٍ:

ـأعشق الخطر.

ظل يبحث في عينيها عن إجابة لهذا السؤال الذي يجول بخاطره: "هل هي مدركة ما أقدمت عليه؟!!"، عيناه تنهي الجملة بعلامة استفهام، وعيناها تضع بجانبها علامة تعجب، بلا إجابة متنهية بنقطة.

شريف:

ـإذًا، تودين اللعب؟

نرمين:

_أنا لا ألعب، أنا أفوز بالألعاب.

شريف:

_سنرى.

نرمين:

_حسنًا.

****

(٣)

أخذت نرمين تتجول في الفندق الذي لم تلبث أن دخلته حتى طغى عليها حزنٌ غير مبرر، هدوء فوق المعتاد، كان عدد صغير من الناس هناك، الفندق يختلف كثيرًا عن توقعاتها، يبدو أنها لن تجد ما تكتبه عنه، ذهبت إلى الغرفة لتأخذ قسطًا من الراحة. أما شريف كان بغرفته يبعثر بعض الأوراق بجانب حاسوبه ويُدَوِّن الكثير من التواريخ، أفاقت نرمين على دقات الباب، نظرت في هاتفها لم يمرسوى ساعتين، شعرت بالحَنَق فهي متعبة ولا تريد أن يزعجها أحد، فتحت الباب فوجدته.

شريف بدهشةٍ مصطنعةٍ:

ـهل كنتِ نائمة؟

طرقت بيدها فوق الباب وزفرت:

ـماذا تريد يا هذا؟

شريف:

ـشريف، شريف، أُدعى كذلك.

قالت بحدة:

ـلا أمزح، لا أريد رؤيتك هنا، نحن بعملٍ ولسنا أصدقاء، وأيضًا يبدو أنك شاب ناضج، أنصحك أن تتوقف عن تصرفاتك المراهقة هذه.

شريف بعدم اكتراثٍ:

ـحسنًا، وددت إخبارك أني ذاهب لأخذ جولة في المدينة.

نرمين بشغفٍ:

ـحقًا؟

شريف بثقةٍ:

ـهناك حفل بالقرب من هنا، والكثير من المطاعم وعدد لا يحصى من الصور.

لمعت عنيا نرمين وقبل أن تتحدث قال:

ـلن أزعجك مرة أخرى، إلى اللقاء.

نرمين:

ـانتظر! أريد أن آتي معك.

شريف بلوْمٍ: ولكننا لسنا أصدقاء!

نرمين: عذرًا.

شريف مستنكرًا:

ـلا، لا، يبدو أنك امرأة ناضجة لا يلائمها أن ترافق مراهق مثلي في جولة.

نرمين بجدية:

ـحسنًا لا يهمني الأمر، فأنا أيضًا لديّ بعض اللقاءات المهمة.

ابتسم شريف:

ـإلى اللقاء.

أغلقت نرمين الباب بوجهه قبل أن ينصرف، ثم أخذت تضرب بقدميها الأرض وتنظر بلا وجهة محددة وهي عاقدة يديها أمامها كتلميذة بالابتدائية تعرضت لموقف محرج أمام الفصل، أخذت الهاتف تحاول الاتصال بكمال؛ لتتناسى الموقف، أما كمال فكان في ذلك الوقت يشاهد إحدى مباريات الكرة التي يحبها، وعندما وقع نظره فوق اسمها أغلق صوت التلفاز ثم رد.

نرمين:

ـحبيبي، كيف حالك؟، أين نغم؟

كمال:

ـاشتقتُ لكِ عزيزتي، نحن بخير لا تقلقي علينا، لكني مشغول الآن، سأعاود الاتصال بكِ لاحقًا.

نرمين:

ـحسنًا.

ثم أغلقت الهاتف، ثم فكرت قليلًا وقررت الذهاب وحدها لاستكشاف المدينة. خمسة عشر دقيقة حتى انتهت من هندامها، ارتدت فستانًا أبيض ليس له أكمام، يصل بالكاد حتى ركبتها، منقوش ببعض الورود الزهرية، وسلسلة فضية، وتركت العنان لخصلات شعرها أن تتمرد، وبعض

مساحيق التجميل التي أكملت مظهرها، وأخذت الكاميرا وحقيبة صغيرة، فتحت الباب بعد أخذ نفسٍ عميقٍ، صُدمت لثوانٍ عندما رأت شريف يجلس بجانب الباب في انتظارها!

نرمين بتعلثم:

_ماذا تفعل هنا؟

شريف:

_أنتظركِ.

قالت بحَنق طفولي:

_لا سأذهب وحدي، لديّ لقاء مع شخصية مهمة للغاية.

لم يتمالك نفسه من الضحك:

_حسنًا.

نرمين:

_لماذا تضحك؟! على أي حال ليس لديّ وقت للهُراء معك!

تركته وهو مازال يضحك، لتخرج من الفندق وتمشي كثيرًا بخطوات غير منتظمة، تتحاشى النظر لأي أحد، لم يمر القليل من الوقت حتى توقفت أمام كافيه لم تهتم باسمه لكنها دخلت وجلست وحدها، شرعت في الكتابة عن المقال واندمجت حتى انتشلها صوت ما يتحدث بالإنجليزية.

النادل:

_هل تريدين شيئًا؟

نظرت له نرمين وقالت:

ـأي شيء.

النادل:

ـلا أفهم؟

نرمين بحيرة:

ـأنظر، أنا جديدة هنا، لا أعلم.

النادل:

ـيمكنني الاقتراح عليكِ.

ثم وضع أحدهم يده فوق كتف النادل وقال:

ـ كوبين من القهوة.

النادل:

ـحسنًا.

نرمين:

ـماذا تفعل هنا؟!

جلس شريف وقال:

ـيبدو أن الشخصية المهمة لم تأتِ بعد، سأجلس معك حتى تأتي.

نرمين:

ـلا أريد افتعال مشكلة معك، اذهب من هنا.

شريف:

ـأعلم أنني أحيانًا سخيف، لكن السفر وحدك أكثر سخفًا.

نرمين بارتباك:

ـلست وحدي؛ هنالك أحد قادم الآن هو فقط تأخر قليلًا.

شريف:

ـأنا أيضًا وحدي.

وضع النادل القهوة أمامهما.

نرمين: لكنني لا أحب القهوة!

أخرج شريف من جيبه شيكولاتة:

ـستحبينها مع هذه.

أطالت النظر له:

ـأنت لا تعرفني، لمَ كل هذا؟

شريف بثقة:

ـأحيانًا نحتاج لقضاء بعض الوقت مع أحد لا نعرفه؛ فهو لا يعلم مَن نحن حقًا، لن يعاتبنا على أي تصرف، لن نفكر كثيرًا، وربما لن نلتقي مجددًا!

نرمين:

_ربما، نحن أصدقاء، سأتجرد الليلة من نرمين المقيدة وراء قضبان شخصيتها الجادة، حتمًا لن أعرفني اليوم كما لن أعرفك غدًا، ولن نكون أصدقاء، ثم نعود أدراجنا.

تذوقت الشيكولاتة ببطء كأنها هي مَن تذوب بها.

شريف وهو يضحك:

_متأكدة أن لديك طفلة؟ فأنتِ تبدين كطفلة أيضًا.

نظرت له نرمين بخجلٍ، ثم أرتشفت من القهوة قليلًا، ثم اقتربت منه:

_اقترب.

نظر لها بغرابة واقترب، ثم صرخ بعدما أوقعت نصف كوب القهوة فوقه وهي تقول:

_آسفة حقًا لم أقصد هذا، أأنت بخير؟

ظل ينظر إلى ملابسه ثم نظر لها بحَنَق فهمست له:

_هكذا يتصرف الأطفال.

فقام لدقيقتين ثم عاد وأشار لها أن تتبعه وحين خرجت، ظلت تضحك ببلاهة حتى احتقن وجهه غضبًا وصاح:

_اصمتي! هذا بسببك!

صمتت وقالت بجدية:

_هذا ماجعلتني أشعر به منذ قليل.

قال بهدوء:

ـ كل ما أردته أن أجعلكِ تمضين وقت لطيف لأنك وحدك! فكفى!

قالت نرمين:

ـحسنًا، وأنت أيضًا!

صمت شريف ونظر في الأرض بعض دقائق فبددت صمته:

ـأنا آسفة.

لم يرفع وجهه وقال:

ـأنا لا أقبل الأسف!

قالت بجدية:

ـوماذا تقبل؟

نظر لها بجدية وقال:

ـمثلجات بالليمون.

لكزته:

ـأنت تمزح!

ضحك وقال:

ـلا، حقًا أريدها، ليست بعيدة من هنا، هيا، ثم ذهبا سويًا إلى البائع بشارع مزدحم بالناس والأغاني الصاخبة والجميع يضحكون.

بدأت تقفز وتصفق بحرارة، اشترى المثلجات لها بالفراولة وله بالليمون.

نرمين وهي تضحك:

ـإنها الأفضل على الإطلاق!

جاءت فتاة تحاول جذب يدها للرقص لكنها رفضت، نظر لها شريف نظرة هي تعلم معناها جيدًا، اتسعت عينا نرمين وبدأت تتراجع للوراء وهي تقول:

ـلا، لا! شريف لا تفعل هذا أرجوك.

اقترب شريف وألقى المثلجات جانبًا وأمسك يدها:

ـأتعتقدين أنكِ إذا رفضتِ الرقص معها سترفضين معي؟

ثم بدأ بالاندماج والانخراط في تلك الأجواء وهي كذلك، مدّ كفه فوضعت قلبًا بكفه! أمسك بيدها، يجلعها تدور، ثم تقترب منه، ويبتسم ويبعدها مجددًا، ثم تمايل، تتغير الموسيقى، ويبدأ الجميع بالقفز والصراخ ظلت تضحك حتى آلمتها معدتها وقدميها. بدا على شريف الإعياء المفاجئ، وتنحى جانبًا فلحقت به لكنه بدأ بالركض!! لا تعلم لمَ أصبحت تركض وراءه والموسيقى تبتعد تدريجيًا، تنادي لكنه لا يجيب، حتى توقف وتوقفت هي الأخرى أمامه تلهث، وتنظر بوجهه بنبرة تضج بالقلق:

ـما بك؟! ماذا حدث؟!

هدأ تنفسه، ثم قال:

ـأردت التأكد من شيء ما!

نرمين بقلق:

ـماذا؟

شريف نظر لها وصمت لبُرْهَة:

ـلما أتيتِ ورائي!

نرمين:

ـلأنك لم تتركني وحدي، فكيف أتركك؟!

شريف:

ـهذا ما أردت التأكد منه.

نرمين بجدية:

ـلا أفهم.

شريف:

ـأنكِ لن تتركيني اليوم.

نرمين بجدية:

ـتوقف عن سعيك للفت الانتباة!

شريف تنهد بعمق:

ـأنت ترين ذلك، لكنني لديّ دافع آخر، لقد أتيت هنا كي أبكي، أتجرد من الثبات! أنا هنا لدافع آخر مثلك.

أمسكت بيده:

_ماذا؟

قال: البحث!

بينما تجمعت السحب أمام عينيه معلنةً عن هطول أمطار، عانقها بشدة وبدأ بالارتجاف، لم تشعر بكل تلك المشاعر في أي عناقٍ من قبل!!! خلايا جسدها كانت تتسع ألمه، لامست كتفه ورَبَّتت فوقه، أجهش بالبكاء كطفل لم يبلغ أشده، لم تحاول إيقافه، نشب غليل داخلها لكل مَن تسبب في حزنه، تعانق جمرة تحرقها وتزداد حرارة بكل ثانية، ثم ابتعد عنها وجلس على مقعد بالطريق فجلست جواره.

نرمين:

_ماذا تشعر الآن؟

التقط أنفاسه وقال:

_بأنني عدت أتنفس، أكتم أنفاسي كل عامٍ حتى أسافر هنا، وأقيم بنفس الفندق، أبحث، وأدون، وأرقص، أبكي، لا يوجد أحد هنا، لا يلحظني أحد، وإن بكيت وسط الجموع التي ترقص لن يلحظني أحد.

نرمين بدهشة:

_ظننت أنها صدفة كونك هنا! لمَ تأتي هنا؟!

شريف بانكسارٍ بالغٍ:

ـواحد فقط مَن كان يلحظني إنه أدم؛ كانت أمي مشغولة تتركني كثيرًا، وأبي رجل أعمال لديه جدول مزدحم، لم أخشى يومًا من فقدان شيء سواه!، وأنه لمخيف أن تصبح أكبر مخاوفك هي فقدان أحدهم، قُتل بهذا الفندق بطريقة مجهولة، كيف لا يكون هناك من يُلام؟ لم ألبث سماع هذا الخبر وقد زالت معالم الحياة من وجهي كلوحة متقنة سُكِب فوقها الماء! أصبح الطعام يطعن معدتي بالألم، والماء شوكًا يغص حلقي، بضعة أشهر في المشفى حتى أتعافى، بكل صباح كنت أنتظر أن يأتيني فأتعافى لكنه لم يفعل! تركت أنفاسي هنا، كان هنا، أشتاقه.

أحضنته نرمين وقالت محاولة تهدئته:

ـلكنك تعذب ذاتك!

شريف بقوة مصطنعة:

ـاعتدته، أنه يحييني.

نرمين باهتمام:

ـما هو؟

شريف بهدوءٍ:

ـالألم.

نرمين بمواساةٍ:

_أكمل.

شريف بجمودٍ:

_أدم كان طبيبًا جراحًا للقلوب، مازلت فخورًا به، مازلت أبحث عن أحدٍ ألومه، أنتقم منه، وأقتله بدم بارد.

نرمين بهلعٍ:

_ماذا؟!

شريف:

_أشعر بالثقل، الأفكار تتزاحم برأسي، تأخذني يمينًا ويسارًا.

أحضنته مجددًا:

_أنا أستمع.

ابتعد شريف وقطّب جبينه:

_لكني أنتظرك أن تتحدثي! طمئنيني اليوم وسأنسى كل ما أخبرتني به بالغد.

نرمين:

_الحديث يقلل من هيْبة المشاعر الآن، لا أريدك أن تنسى حديثي أو تتذكره، أريدك أن تتذكر كلما توحشتك الوحدة أن هناك أحدًا احتضنك ذات يوم وقلبه اعتصر معك!.

احتضنها مجددًا:

_أخبرتك منذ الوهلة الأولى أنكِ غريبة!

نرمين:

_هيا نعود، أشعر أننا تأخرنا.

ابتعد قليلًا وابتسم لها، مد يده وقام قائلًا:

_تفضلي سيدتي.

فلامست يده أناملها ثم تشابكا بالطريق.

شريف:

_ماذا تريدين الآن؟

نرمين:

_قِطة.

ضحك شريف:

_ماذا؟!

نرمين:

_نعم، أريد اللعب مع قِطة والتقاط بعض الصور معها أيضًا!! أتعلم؟! تركت الكاميرا ولم أصور شيئًا اليوم لأكون معك تمامًا وهذا إعجاز.

قال شريف:

_وأنا طالما أردت كلبًا!

نرمين متسائلة:

ـما المانع؟

قال شريف:

ـسأمل منه بعد يومين، وسيحبني هو دومًا، وأنتِ؟

نرمين:

ـأنني لا أهوى الحيوانات لكنني أريد التقاط بعض الصور اللطيفة!

وقف أمام باب الفندق فقالت نرمين:

ـسينتهي كل شيء الآن! أتريد قول شيء؟

وقف أمامها وجذبها إليه بيده وبالأخرى أرجع خصلات شعرها إلى الوراء بخفة، ولامست خدها ثم لامسه بوجهه وشرع في قُبلة عميقة تحمل الكثيرمن معانٍ أحبك!

ظلت تنظر له لبُرْهة ثم قبل أن تتحدث قال لها:

ـلا يهم، سنعود أدراجنا لكنني أعلم أنني لن أحظى بمثل هذا الشعور مجددًا.

ثم افترق كل منهما إلى غرفته.

****

(٤)

الثالثة فجرًا - غرفة نرمين:

عندما تغط بنومٍ عميقٍ ويأتي صوت مزعج كموسيقى تصويرية للمُنبه يجبر عقلك الباطن على الاستيقاظ، صوت يأتي من بعيد، فتحت عينيها ببطء، نظرت في الساعة ثم بحثت بعينيها عن مصدره، ربما حُلْمٌ لم تكترث، لم يكد الجفن الأول يلتقي بالجفن الثاني حتى يجتمعا ونتوغل بنومٍ عميقٍ مجددًا إلا وشعرت بأنفاس اختطفت أنفاسها!!! فتحت عينيها بثقل وبطء، وجدت عينين تُحَدِّق بها، فاعتدلت بسرعة، فركت عينيها ثم أفاقت بخطوات مضطربة، أشعلت الضوء وجلست على الفراش تتفقد الهاتف، لا تعلم على مَن تبحث، اتصلت بكمال المتيقنة أنه لن يجيب، عليها أن تهدئ من روعها وتعاود النوم، شعرت بيد مبتلة تلامس كتفها بخفة، تصلب جسدها بالكامل، شردت قبل أن تلتفت؛ عدد لا يحصى من السيناريوهات والمشاهد تكَوّن أمامها، ثم نظرت وراءها برهبة وأطراف متجمدة فلم تجد أحد، بثقل وضعت يدها عند كتفها ثم نظرت لها، وجدت دمًا! شعرت بحشرجة تتملك من حلقها فهرولت نحو المرآة، لمحت ظلًا فشرعت بالصراخ حتى هدأت، غسلت وجهها وكتفها ثم تركت الضوء وحاولت النوم، مرت عشر دقائق ثم

طُرِق الباب ليقتلع قلبها عند كل طرقة، ذهبت ببطء حتى وقفت أمامه ولم تفتح، خمس طرقات وصوت مألوف:

ـهل أنتِ بخير؟! سمعتكِ تصرخين، ففتحت.

نرمين بهلع:

ـلا، كان هنالك أحد هنا الآن!

أخذت تشير إلى المرآة:

ـرأيته، لقد كان....

قاطعها عند أمسك بوجهها ونظر لها مطمئنًا:

ـأنا معك! لم يحدث شيء.

وابتسم بعذوبة جعلتها تذوب أيضًا، ثم تذكرت ملمس يده والدم فصاحت:

ـلقد ترك فوق كتفي بعض الدم.

ارتبك شريف ثم احتضنها كي لا تلحظ وجهه، وقال بنبرة هادئة:

ـربما لأنه يوم طويل فقط، لديّ فكرة، يمكنك المبيت معي كي لا تخافي.

ابتعدت وقالت:

ـهل تمزح؟

قال بسخرية:

ـيمكنك الرفض، فأنت تعشقين الخطر أعلم أعلم.

أشاحت بنظرها عنه:

ـحسنًا، الليلة فقط وعندما أستيقظ سنعود....

فقاطعها:

ـأدراجنا ولن نكون أصدقاء، هيا.

فابتسمت نرمين وأخذت هاتفها، وأغلقت الغرفة، واتجها إلى غرفته التي تقبع بنفس الطابق، بغرفته كانت تجلس فوق السرير وكان مستلقيًا فوق الأريكة، قال شريف:

ـستظلين مستيقظة؟

قالت نرمين بقلق:

ـأفكر في بعض الأمور.

قام شريف واقترب منها:

ـماذا؟!

ثم أخذ يبحث في درج الكومود عن لُفافة تبغ أخذها ونظر لها وجدها شاردة:

ـأجيبي؟

فلم ترد، فصمت لبُرْهة وقال:

ـشفاهك جذابة.

انتبهت له في فزع:

ـشريف!

ظل يضحك:

ـأمزح أمزح، ماذا هناك؟

اعتلى وجهها ابتسامة مصطنعة، ثم قالت:

ـأنا بخير، هل يمكن إطفاء الضوء؟

فعل ذلك وأخذ ينفث الدخان واستلقت هي، تأبى عيناها أن تغفو، ويأبى تفكيره أن يهدأ، صوت لحركة بالغرفة أبدت عدم الاكتراث؛ كي لا تقلقه لكنها كانت حركته هو! ثم شعرت به يضمها قائلًا:

ـأنا أيضًا خائف.

فابتسمت:

ـإذًا أنت مدخن.

ابتسم:

ـلا، فقط عندما أود الهرب.

قالت:

ـهذا ما يفعله المدخنين.

شريف بثقةٍ:

ـأنا لا أهرب، أنا أعشق الألم.

وجهت وجهها نحوه وقالت:

ـتعلم؟ نحن الاثنان هاربان، أنا لا أتحمل الخطر وأنت لا تتحمل الألم، نحاول إقناع أنفسنا بأننا ننتصر في الحروب بل نحن أبدلنا الحاء بالهاء.

نظرت للسقف بينما ظل صامتًا وظلت ابتسامة ساخرة على وجهها، حلت السكينة قلبه فنام هو وسكنها الضجيج، ثم صوت قيثارة يُعزف!!! هذا الصوت الذي سمعته بعيدًا منذ قليل بدأ بالوضوح أكثر! نغمة لا تدل على شيء تعاد مرارًا وتكرارًا، كأنها نوتة مكونة من صفحتين طبعت بثلاث مئة صفحة. هل هذه إحدى الخدمات من الفندق لإضافة بعض الحيوية بهذا المكان الذي لقى حتفه منذ زمن؟ كأن العزف أيضًا فقد روحه لديهم!

لغة الموسيقى مما لا شك فيه مثيرة، فهي تثيرأحاسسيك عند سماعها، فتدفعك إلى شعور ما، تجعلك هائمًا، حالمًا، سابحًا في بحر الخيال محملًا بسفن الذكريات، فتراقصك أمواجه تارة، وتتلاطم بأحزانك تارة أخرى، ترسو بك إلى ماضٍ قاتم يلاحقك، وربما واقع مجهول ترسم معالمه بشغف يخالطه الأمل، كل لحنٍ سيجرفك نحو شعورٍ محددٍ، أما هذا اللحن فور وقوعه على مسامعي، اعتراني شعورٌ جديدٌ، انسياب تام للمشاعر من جسدي حتى أصبحت مجردة تمامًا، ساعتان من اللاانتماء ثم توقف، قررت أن أشكو غدًا لإدارة الفندق، فأنا لم أذق النوم هذه الليلة، بنهاية المطاف نمت ثلاث أو أربع ساعات.

تسللت في الظهيرة أشعة الشمس المشعة تحمل بين خصلاتها الذهبية الحماس لتيقظني، قلت في نفسي:

_أرجوكِ لم أنم جيدًا البارحة! تذكريني بأمي عند موعد الذهاب للمدرسة، لحظة أين شريف؟!!

نادت نرمين عليه لكن يبدو أنها وحدها هنا، الصفعة الأولى خذلان غير مبرر، تداركت أنه استغلها، ربما كان العزف مسجلًا هو من وضعه، هو من كان بغرفتها، أنه افتعل كل ذلك ليكون بجانبها ثم تركها!

****

(٥)

بعد ساعتين بمقهى لم تكترث بقراءة اسمه، تجلس بركنٍ وحدها بجانب حائط زجاجي يعكس المارة بجواره، أمامها كوبٌ من النسكافيه، هكذا تتحول خمس معالق سكر إلى علقم عندما تشعر بالخذلان، حاولت مهاتفة كمال، أوشكت أن تغلق عندما أطال لكن..!

كمال:

ـعزيزتي؟

فرت الكلمات هاربة من فمها تبدلت بدموع جامدة بملقتيها

كمال:

ـأفتقدكِ!

نرمين ببرودٍ:

ـوأنت أيضًا.

كمال بريبةٍ:

ـهل هناك شيء؟

يعلم أنها حين تهاتفه تثرثر كثيرًا بنبرة مغمورة بالبهجة.

نرمين ببرودٍ:

ـلا، كل شيء بخير.

كمال بلهفةٍ:

ـ كيف كان يومك؟ ماذا فعلتِ بالبارحة و.....

قاطعته نرمين:

لا شيء.

ثم دار أمامها شريط من المشاهد وأصوات متقطعة للضحك والأغاني، توقفت عند صورة تكونت لضحكة شريف، فابتسمت بسخف:

ـ كان لطيفًا.

صمت كمال لبُرْهة:

ـحسنًا، أتمنى لكِ رحلة سعيدة، لا تنسي تصوير كل شيء، نغم تود الحديث معكِ!

التقطت نغم الهاتف، هي تبلغ ثماني سنوات من العمر، وبصوت طفوليٍّ مرحٍ:

ـاشتقت لكِ! متى ستعودين؟

نرمين وهي تضحك:

ـأنتِ أيضًا، كيف تؤدين في واجباتك المدرسية؟

نغم بتأففٍ:

ـجيدة جيدة، لقد رسمت مشاهد جديدة سأريها لكِ عندما تعودين.

نرمين بشغفٍ: قريبًا ! خفورة بكِ يا صغيرتي.

نغم:

ـلا تنسي أن تحضري لي الحلوى وأنتِ قادمة! فهذه المكافأة.

نرمين بمشاكسةٍ:

ـأيتها المادية الصغيرة!

نغم ببراءةٍ:

ـأرجوكِ.

وأرسلت لها قبلة، نرمين تضحك:

ـقبلة بمثابة عملية سطو على قلبي، حسنًا.

نغم بضحك:

ـأحبكِ كثيرًا لا تتأخري!.

أخذ كمال منها الهاتف:

ـهل أنتِ بخير؟

تنهدت نرمين:

ـنعم، اعتنِ بنغم، وبنفسك، إلى اللقاء.

كمال:

ـانتظري! فلم تجب لكنها لم تغلق، أحبكِ.

ياللعجب! كم كانت تجعلها هذه الكلمة بخفة فراشة لماذا ينقبض قلبها الآن وأصبحت بهذا الثقل؟ ! أغلقت كأنها لم تسمع، هناك فتاة لم تشح

بنظرها بعيدًا عنها منذ جاءت، تقدمت وجلست أمامها وقالت بلكنة ركيكة جعلت نرمين تدرك أن أصولها ليست من هنا.

الفتاة:

ـتبدين جميلة! أريد التحدث، لديّ طائرة بعد قليل ! ليس لديّ أصدقاء.

ابتسمت نرمين:

ـشكرًا، حسنًا.

الفتاة:

ـجيس، وأنتِ؟

نرمين:

ـنرمين.

جيس:

ـتحبين التصوير؟

مشيرة للكاميرا التي تحملها.

نرمين:

ـنعم.

جيس:

ـوأنا أحب العزف.

نرمين:

_ماذا تعزفين؟

جيس:

_لا أعلم اسم الآلة بهذه اللغة، أنا من بلد أخرى، أعلم هذا يبدو جنونًا.

ابتسمت نرمين بسخف:

_لا تقلقي، فلم أقابل سوى المجانين منذ مجيئي!

ضحكت جيس بحرج:

_حسنًا، إلي اللقاء، يبدو أن موعد الطائرة قد أوشك و...

قاطعتها نرمين:

_أنا آسفة!، سعدت بلقائك.

ابتسمت جيس:

_أنا أيضًا، سأخبر صديقي عنكِ عندما أعود إلي بلدي، أنني قابلت فتاة لديها ضحكة فاتنة!

احتضنتها نرمين:

_حسنًا، رحلة سعيدة! أنا أيضًا من بلد أخرى.

جيس:

_وأنتِ أيضًا!

بعد نصف ساعة تركت نرمين المقهى لتتسكع إلى أن ضلت طريق عودتها، سألت الكثير من العابرين عنه ولم تجدِ أي إجابة نفعًا، وهي تمشي وجدت موسيقى كلاكسيكة تصدر من أمام بائع مثلجات فاستندت إلى حائط خلفه لتريح قدميها وتعاود السير، جلست وضمت ساقيها لكتفها ثم دفنت وجهها بينهم، سرت النغمات إلى أذنيها تدعوها للاسترخاء التام، ولم تفق إلا على صوت أجنبي يسألها لما هي نائمة بالشارع؟!

نرمين:

_لا أعلم.

وقفت بتثاقل، ثم قالت:

_أنا تائهة، أريد العودة إلي فندق (...).

الرجل:

_سآخذك.

لم تتحدث ولم يكترث الآخر، وحين اقتربت رأت شريف على باب الفندق يتصبب عرقًا وصدره يعلو ويهبط بسرعة جنونية، حتى لمحها ولكنه لم يتحرك حين رأى هذا الغريب معها، ابتسمت للرجل وقالت:

_شكرًا.

تقدمت إلى الباب كأنها لا تر شريف فجذبها وقال:

_أين كنتِ؟!

قالت بثباتٍ:

ـليس من شأنك!

شريف:

ـ كان يمكن أن يصيبكِ مكروه و.....

قاطعته بنبرةٍ حادةٍ:

ـلا يخصك نحن لسنا أصدقاء!

عقد لسانه عن الحديث ثم أدار ظهره لها وغادر، صعدت نرمين لغرفتها بعدما شعرت بالانتقام، ردت له الصفعة، ملئ وجهها بأثار الصدمة عندما وجدت قطة بمنتصف غرفتها! فتحت الصندوق المخصص لها، ثم وجدت ورقة " ذهبت صباحًا لأفاجئكِ! آسف لو تأخرت فأنا لا أعلم محلات بيع الحيوانات هنا" شعرت بغضب عارم لم يكن سببه سوى حماقتها في سرعة الحكم عليه، أخذتها وهرولت إلى غرفته تطرق الباب لكنه لا يجيب.

نرمين بندمٍ:

ـأعلم أنك غاضب، دعني أشرح لك! لقد كنت غاضبة و..

قبل أن تكمل فتح لها وقال بجمود:

ـتفضلي لن نتحدث هنا.

دلفت نرمين للداخل تركت الصندوق أرضًا، ثم وقف أمامها وقال برسمية:

_أنا لا أهتم لكوننا أصدقاء أم لا أولًا، ولكن أحدهم يلاحقك البارحة واليوم أعود فتختفي، ألا يدعو هذا للقلق؟ ثم تتغيبين لوقتٍ طويلٍ!، وكل ما تفكرين به أن تجعليني أندم!

نرمين:

_كنت غاضبة؛ لأنك تعمدت ذلك!

قال بحَنَق:

_لأنك تظنين أنني افتعلت هذة الحماقة لإخافتك!

نرمين:

_بل لأنك تركتني.

قال برسمية:

_لا أفهم؟

قالت وهي تحرك يدها في اتجاهات مختلفة بانفعال:

_كنت غاضبة منك، فصببت ذلك في كمال، وتحدثت مع فتاة غريبة بطريقة محرجة، وضللت الطريق، و....

شريف بريبة:

_تحدثت معك في ماذا؟

نرمين بلامبالاة:

ـأنها من بلد آخر وأنها تحب العزف، وأخبرتها أني أقابل المجانين هنا، كنت أقصدك، آسفة.

ثم ضحكت، قال لها بجدية:

ـومن هذا الشاب؟

نرمين:

ـلا أعرفه، لكنه أخذني للفندق عندما ضللت، أتعلم الغريب حقًا هي تلك الموسيقى التي وضعتها البارحة كي تجعلني أخاف!

اتسعت عيناه:

ـالقيثارة!

ثم ارتبك:

هل سمعتيها، حقًا؟

قالت بريبة:

ـلما أنت مرتبك؟

أمسك بعض الأوراق يبحث عن شيء ما، ثم تركهم وقال بعدم اكتراث:

ـلَمَ لم تشكي في الفتاة؟ أنا أول اختيارتك عندما يتعلق الأمر باللوم! حقًا أنا لم أفعل هذا.

تسلل الشك إليها فخاربته بالنفي قائلة:

ـحسنًا، أصدقك!

تنهد وقال بجمودٍ:

ـأريد النوم، أتمنى أن تنال إعجابك القِطة.

انتبهت واحضنته بلهفةٍ:

ـلقد وقعت بحبها!

قال ببرودٍ:

ـجيد.

ابتعدت نرمين وابتسمت:

ـحسنًا، أحلامًا سعيدة.

واتجهت للباب بعدما أخذت القِطة، فتحه لها قال بصوتٍ منخفضٍ:

ـانتظري.

التفتت فأردف وعيناه متعلقة بعينيها:

ـتوخي الحذر.

نرمين بقلقٍ:

ـمن ماذا؟!

أشاح بنظره عنها:

ـلا أعلم، أي شيء، الغرباء، والعاملين هنا، والمارة، ربما أنا أيضًا، لا تتحدثي كثيرًا.

نرمين بعدم ارتياحٍ:

ـلا أفهمك، لكن حسنًا.

ثم أغلق الباب وراءها.

يمسك لُفافة التبغ أمام حاسوبه وأنفاسه تتسارع، ثم فتح ملفًا يدعى " خطوات الجريمة " ثم ابتسم ابتسامة لها مغزى، وقال بصوتٍ هادىءٍ:

ـالآن ننتقل للخطوة القادمة.

وأغلق الحاسوب، وأرجع ظهره للخلف وهو ينفث الدخان بنشوة بطريقة لم يعتدها من قبل.

****

(٦)

- أكثر ما يجذب نظري بين اللوحات المعلقة بالممرات اللوحة الضخمة بآخر الممر التي تغطي نصف الحائط! تخفي أمرًا، تفاصيل مبهمة، تحمل إجابات أسئلتها ممحوة!

كانت هذه آخر جملة كتبتها بالمقال، قد تسلل الملل لخاطرها فصعدت تلعب مع قطتها، أمسكت بالقِطة من جانب وجهها حيث تلامس بشرتها ثم ضحكت، ضغطت على التقاط الصورة ثم تركت الكاميرا جانبًا، أمسكت هاتفها، كتبت رسالة نصية لكمال تخبره أنها آسفة للطريقة التي تحدثت بها، ثم عن صوت القيثارة المزعج ليلًا، اللوحة التي تؤرق تفكيرها كلما رمقتها، عن رغبتها الجامحة بالعودة له، بقلب يدق ألف نبضة يعتصرها الشوق! أرسلتها ثم سرق النوم عينيها.

****

(٧)

نرمين تبحث بالقرب من الفندق عن محل يبيع أكل للحيوانات كما أخبرتها فتاة الاستقبال، توقفت لتجد شريف يمزح مع إحداهن ويقوم بحركات غريبة لإضحاكها، ثم يبدو أنه يخبرها باللغة التي يتحدثها أن ضحكتها جميلة!، لم تستمع ولا تعرفها بل ميزت تلك الطريقة المنقمة للحديث وما تحويه هذه النظرة، تجمع عيناه لطافة العالم أجمع، لم تعلم كم ظلت تُحَدِّق به إلا عندما لاحظها فارتبكت وأشارت له بالتحية فردها بحفاوة، ثم اقترب منها وأخذ الفتاة برفقته، مدت الفتاة يدها للمصافحة وسألته بلغتها:

ـمن هي؟

فجاوبها، فسألته نرمين فجاوب:

ـتسأل من أنتِ فأخبرتها أنكِ أمي.

وابتسم ببلاهة، تطاير الشرر من عينيها، واندلع حريق بتلافيف عقلها، ثم ابتسمت باقتضاب وودعتهم. ذهبت للبائع الذي يبدو أنه تجاوز الستين من عمره، سألته عن طعام القطة فرشح لها أفضل الأنواع ثم قال:

ـوربما لن تأكل!

نظرت له بفزعٍ:

ـماذا!

ابتسم بودٍّ:

ـلأنك حزينة، ستحزن عليكِ!

قالت بلطفٍ:

ـشكرًا لك.

دفعت الثمن وعادت مبتسمة، جلبت للقطة الطعام بل وجدتها تنفر منها، دقيقتين وكانت أمام باب غرفته، فتح الباب وقال برسمية:

ـتريدين شيئًا؟

قالت بقلقٍ:

ـأنها القِطة، الأمس شاركتني السرير واليوم تهلع عند رؤيتي!

قال:

ـربما أخافها أحد قبل مجيئك.

قالت بقلقٍ:

ـهل يمكنك تفقدها؟

قال بلامبالاة:

ـلَم أفعل ذلك ونحن لسنا أصدقاء؟!

قالت وهي تجذبه من ذراعه:

ـليس الآن!

رافقها ثم اقترب من القِطة وبدأ بتهدئتها حتى بدأت بالتهام الطعام، قالت:

ـشكرًا لك.

قال بوجهٍ جادٍ ونبرةٍ حذرةٍ:

ـيجب أن تظلي معي، هنالك من يتتبعك!

قالت باستخفافٍ:

ـلعبة جديدة؟ لا، لا.

صرخ شريف يصب غضبه بها:

ـأنا لا أهتم لأمرك!، ما أريده هو.

ثم طرق بيده على المنضدة بجانبه.

صعقت، قالت بجمود يسبق الانهيار:

ـتريد ماذا؟ أكمل!

برزت العروق بوجهه، وقال محاولًا كبح غضبه وهو يجز على أسنانه:

ـلا يمكنني التحكم به!

نظرت له بعدم فهمٍ فصاح:

ـلا يمكنني إخبارِكِ كل شيء!

فاقتربت منه بتحدٍ:

ـبل يمكنك!

نظر للأرض وتنهد ثم رفع وجهه رويدًا رويدًا، وقال بهدوء:

ـاليوم فقط، أرجوكِ.

استشعر الخوف الذي احتل صميمها فأمسك يدها التي حاولت إفلاتها لكنه أقبض قبضتها بقوة وقال:

ـتذكري، أنا هنا لأنقذكِ!

لم تجب فقال:

ـثقي بي!

راودها الشك لكنها ضربت به عرض الحائط بقولها:

ـأنا أثق بك!

فابتسم، أستوقفته:

ـسآخذ القِطة.

شريف:

ـلا، سأترك لها الطعام والماء، لا تقلقي.

نرمين:

ـأحيانًا تخفيني.

أغلق الغرفة، وأخذ مفتاحها وذهبا لغرفته، فعل الشيء ذاته بعدما تأكد من أنه أغلق النافذة جيدًا ثم قال بهدوء:

ـأنا جاد فيما أقوله، لا تحاولي الخروج من هنا، سنظل سويًا، لا أحد يعلم إن غرقت السفينة أو وصلت إلا عندما تنتهي الرحلة.

نرمين:

_حسنًا.

أغلق شريف الضوء واستلقي بجانبها متأهبًا للنوم بينما أشعل عقلها شموعًا.

نرمين:

_شريف.

شريف:

_ماذا؟

نرمين:

_هل أخبرك أحدهم من قبل أنك مخادع؟

شريف:

_لا.

وجهت وجهها نحوه:

- لكنك كذلك!

شريف:

_لِمَ؟

تنهدت:

_ظننت أنك وحيد، لكنك تتحدث مع الكثير من الفتيات!

قال بسخريةٍ:

ـربما!

نرمين بفضولٍ:

ـإذًا لم تقع بالحب من قبل؟

نظر نحوها ثم قال:

ـأنا عابر، أخبر إحداهن أن ضحكتها تعجبني، والأخرى توقظ شغفي، وتلك أنني فتنت بعينيها، ربما أدعو فتاة لرقص التانجو فأنا بارع به، أحب الرياضة وكرة السلة!، والفلوكلور الأيطالي أيضًا، أعلم الكثير من وصفات الطعام على طرقٍ شتي، لكنني أسوأ شخص يمكنه أن يقلي بيضًا، أقص عليهم بعض السطور لن يقرأ أحد الكتاب كاملًا أبدًا، يجتاحني شعورٌ لطيفٌ تجاههم، ألطف من الحب! الحب يخلد، يحصد القلوب في طريقه، يستمر، إنما أعلم أنني بالغد لن أراهم مجددًا! أسعى لإمضاء حياتي بالبحث.

نرمين:

ـمتى ستتوقف لتعثر على ذاتك؟

شريف:

ـأنا خاوٍ.

نرمين:

ـغير مقنع! أنت لم تجد من تجعلك تتوقف عن البحث!

ابتسم لها:

ـوجدتها، ورقتي الأخيرة!

قطّبت جبينها:

ـماذا تقصد؟

أشاح بوجهه وقال:

ـ كُفي عن الثرثرة! أريد النوم!

فضربته بالوسادة، مرت أربع ساعات، أفاقت نرمين على صراخ شريف لتجده يتنفس بصعوبة ويلهث.

نرمين بفزعٍ:

ـماذا حدث !!

هدأ ثم قال:

ـ كابوس، لا داعي للقلق.

أحتضنته فقال:

ـأشعر أنني طفل ضائع عندما تفعلين هذا.

قالت بمزاحٍ:

ـربما لأنني أكبر منك! أحلام سعيدة.

شريف:

ـوأنتِ أيضًا.

مرت ثلاث ساعات، أفاقت نرمين ثم تأففت! أمسكت هاتفها وجدت رسالة من كمال: جيد، أتمنى لكِ رحلة جيدة.

كتبت له "لا يمكنني النوم هنا!" أرسلتها ثم تفقدت السرير فلم تجد شريف، قالت بحَنق:

_ليس مجددًا!، إنها السادسة صباحًا!

توجهت نحو الباب لكنه لا يفتح، طرقت عليه عدة طرقات بلا جدوى، اسمتعت لما خلفه، صراخ مكتوم أتى من بعيد يكفي ليقتلع قلبها من مسكنه.

****

(٨)

فتح شريف الباب ليجد نرمين تنتظره، تعض على شفاهها، مقطبة جبينها تقول بغضب مكتوم:

ـأخبرني، أين كنت؟!

ابتسم شريف:

ـلا شيء، أشتري بعض السجائر!

لكزته وقالت:

ـدمائي تتجمد خوفًا وأنت لا تأبه! لمَ أغلقت الباب؟!!

قال بجدية:

ـلا يجب أن تخرجي من هنا!

صاحت نرمين:

ـسنغادر بعد يومين كفى عبثًا، سمعت صوتًا بالقرب من هنا، أعتقد أحدهم بحاجة المساعدة، الناس هنا مهجورون تمامًا كالغرف، لو نشب حريق هنا لن تسمع صوتًا لهم!

شريف:

ـلا يهم!

نرمين:

ـأريد إحضار بعض الأغراض من غرفتي.

أعطاها المفتاح ورافقها إلى هناك، فتحت الباب ببطء لتجد بقع دماء منتشرة على الأرض، عيناها متعلقة بها، تتقدم بخطوات ثقيلة، الدماء تغلي داخل عروقها وأطرافها متجمدة، وضعت يدها على فمها إلى أن انقطع صوت أنفاسها، التفتت فاصطدمت بشريف، أخذت ترتجف كأنها فقدت النطق، تحولت قِطتها إلى أحشاء يغلفها دم مع أعضاء مبتورة يكتب بجانبها " أحب الدم" ما جعل نرمين تتقيأ بعدما رأتها، لم يكترث شريف للمشهد، أحضر لها حقائبها بعدما وضع أشياءها بشكل عشوائي وقال:

ـعلينا الذهاب.

أخذت منه الكاميرا، التقطت صورة للقطة المشوهة ثم اتبعته.

****

(٩)

فتح شريف حاسوبه ثم الملف ثم كتب جملة "الخطوة الثانية" ثم أغلقه، جلسا سويًا ينظر كل منهما باتجاه مختلف، أمسك يدها:

ـلابأس، سأجلب لكِ غيرها!و..

قاطعته نرمين بنبرةٍ جامدةٍ:

ـأنا جائعة.

شريف:

ـيقدمون وجبات بالفندق يمكنني أن أجلب..

قاطعته مجددًا:

ـلا أود أن أتسمم. هل يمكنك أحضار شيئًا آخر؟.

ضحك شريف:

ـحسنًا، لن أتاخر، ثم قبّل وجنتها وغادر.

لم تلبث أن خرج شريف وقامت تمسك هاتفها وترسل "كمال، أرجوك أجب".

أمسكت الكاميرا لتفتح صورة القطة المتحولة لمسخ، صورتها بهاتفها ثم أرسلتها لكمال "أحب الدم"، سمعت صوت القيثارة يعلو ويجعلها تحت تأثير اللحن!

ثم انتبهت لوجود صور جديدة لم تلتقطها، الأولى بالصباح قبل هذه تحديدًا عندما تركها شريف! لمشرط جراحي عندما تقترب تجد مخدوش فوقه رقم يكاد يرى بالعين المجردة "٥" صُعقت عندما وجدت صورة أخرى لها عندما كانت نائمة بغرفتها وحدها!

تلك اللحظة التي يدرك بها الفأر بعدما التهم وجبته بتلذذ أنه بمنتصف المصيدة.

****

(١٠)

مرت نصف ساعة ونرمين لا تتحرك، سمعت صوت الباب فاستجمعت قواها ووقفت بنصف الغرفة ممكسةً بالكاميرا لتتحاشى النظر له وقالت:

ـمتى سأجد نقطة نهاية لدائرة العذاب التي تصر على وضعي بها؟

خطوات رتيبة تتجه نحوها، لا تقوى على الالتفات، أنفاس عالية لا تشبه أنفاس شريف!، سرت رجفةٌ بجسدها، ثم تبدل النهار بليلٍ حالك عندما وُضِع غطاءٌ فوق عينيها، صرخت:

ـمن أنت؟!

لامس كتفها مجددًا لمسة تبث في روحها الرهبة، جاء صوتها مرتجفًا:

ـشريف، توقف عن المزاح!

ثم صرخت بألمٍ بالغٍ، شعرت بسخونة السائل الذي يقطر من عنقها وبملمس حاد حديدي يغرز بسلاسة ثم يتنفس هذا الكيان بعمق كأنة يتلذذ بدمائها بعد صومٍ طويلٍ، ثم أقبض قبضته على رسغها وهي تبكي وتتضرع له:

ـأتركني، لم أفعل لك شيئًا، شريف لا داعي لأن تنتقم مني، أنا أعلم أنك لست شخصًا سيئًا، أرجوك.

وخز وسائل يتدفق من وريدها جعلها تفقد كل الحواس، كأن مطرقة تضرب جمجمتها، وخز بكل أطرافها، تئن عظامها كل أنسجتها تتمزق، كل خلية تحمل إشارة للمخ ينتج عنها ألم غير محتمل لا يمكن ترجمته، أشبه بأسنان وحش تغرز بكامل بدنك، فتحت عيناها بتثاقل بعد خمس محاولات باءت بالفشل، رؤية غير واضحة، حائط مكتوب فوقه جملة ليس بوسعها فهمها، ثم اقتربت منها عينان تحدقان بها، حاولت جاهدة أن تميز صاحبهما ثم فقدت الوعي.

****

(١١)

يفتح شريف الباب ويقول بحفاوةٍ:

ـوالآن مع الباستا اللذيذة، نرمين؟

وقعت عيناه عليها كوقع تصويبٍ سهمٍ بمنتصف صدره دون قطرةِ دمٍ، أصيب شريف بالفقد التام وانعدام العنفوان أشبه الأجواء أصبحت خريفًا، وقلبه أشبه بورقة شجر صفراء فما هي سوى نسمة ستعجله يطرح أرضًا ويهذي، وحادثة نرمين كافية! كانت نرمين مُشرحة أمامه، بجانبها خمس حقن من المخدر ومكتوب بالدم على الجدار "ودم البشر أيضًا" تلاشت ملامح جسدها فتح حاسوبه ثم الملف ثم كتب "الخطوة الثالثة" وأغلقه. ارتدى قفازات، ووضع جثتها المقطعة بشكل وحشي غير أدمي وضعها بحقيبة السفر، وترك ورقة مطوية صغيرة.

ـ"لا أجد متسعًا للألم المُنتظر؛ فهذا المكان ملطخٌ ببقايا لأشخاص قد رحلوا، يعم الحزن أركانه، تزحمه الخيْبات، يئن ليلًا ونهارًا، بل عاد مهجورًا، مَكسورًا، مُتألمًا".

هذا ما تركه بورقة بجانبها على الكومود، لملم أشياءه في عجلة وأخذ حقيبته وغادر الفندق دون أن يلحظه أحد!

****

(١٢)

اليوم التالي، يرد كمال على اتصالٍ غريبٍ:

ـمَن؟

الشرطي:

ـأستاذ كمال، نود إخبارك أنه للأسف الشديد قد ماتت زوجتك.

كمال بهلعٍ:

ـماذا!!

الشرطي:

ـإننا عثرنا على جثة زوجتك مقطعة إربًا بحقيبة سفر بالفندق.

كمال بإنكار:

ـلا، لا، إنها عائدة اليوم من السفر!!، أنا سأنتظرها هناك!!

الشرطي:

ـعليك أن تهدئ من روعك، يجب أن نتقبل أنها مسألة الأقدار!

كمال بنبرةٍ منكسرةٍ تميل للبكاء:

ـ كيف حدث ذلك؟!

الشرطي:

ـيبدو أنها جريمة قتل مع سبق التعمد والإصرار، هل كان لها أي أعداء؟

كمال بذات النبرة:

ـلا، أيمكنني أخذ الجثة وأغراضها؟

الشرطي:

ـبالتأكيد الأغراض لدينا، لكن الجثة ستذهب للمعمل الجنائي، كل ما وجدناه على الجدران جملة بالدم "ودم البشر أيضًا".

أغلق كمال المكالمة، لتوه شعر أن اتساع العالم أجمع لن يتسع ضيق صدره الآن، وأن الدموع يمكنها أن تكون حمضًا حارقًا، إنه لم يذق الحزن من قبل ثم ذاقه مرة واحدة!

****

(١٣)

بالمطار كان كمال يجلس وحده، جلس بجانبه شاب وقال له:

ـتنتظر أحد؟

كمال بجمودٍ:

ـلن تأتِ.

عانقه شريف فبكى كمال بحروفٍ متعلثمةٍ غير قادرة على تكوين جملة، حتى هدأ وقال أتذكر جيدًا، أخبرتني قبل سفرها "ابتسم فربما لن تكون هنا لتصوره بالمرة القادمة".

لم ينتبه كمال له فتك الشجن بكل خلاياه، ثم هدأ مجدداً وتساءل:

ـأتعرفني؟

قال شريف بجمودٍ:

ـلن نكون غرباء.

لم يفهمه كمال، قاطعهما ظابط يسأله:

ـأستاذ شريف، أنت مدعو للتحقيق لكونك..

قاطعه بجمودٍ:

ـأعلم أعلم، لا يهم!

انتظر كمال ثلاث ساعاتٍ ثم رحل يجر خيباته وراءه، ذهب للقسم ليأخذ ممتلكاتها، ثم استوقفته ورقة صغيرة مطوية "كذبت، لن نكون غرباء"، ثم لمعت عينان شريف أمامه! رغبة بالانتقام انتقلت من جمود شريف لتجمد قلب كمال بالكره النابع من الأعماق، سأل على المشتبه بهم، وقالوا أن شريف سينال عشر سنوات سجن فلا دليل أُثبت بعد! قرر كمال الانتظار، بينما لم يقرر شريف شيئًا.

****

(١٤)

الآن:

كان كمال يجلس أمام التلفاز ثم دخلت نغم:

ـهل يمكنني مشاركتك هذه الليلة التي لا تخلو من مبارايات الكُرة أم أعود إلى مخبئي؟

ابتسم كمال وقال:

ـلا أكترث سوى لكِ!

ضحكت نغم واحتضنته:

ـأحبك كثيرًا.

كمال بلطفٍ:

ـوأنا أكثر يا عزيزتي، كيف كان يومك؟

قالت بتأففٍ:

ـأشبه بمقولة شكسبير "الجحيم خالٍ، جميع الأوغاد هنا"!

كمال:

ـوماذا عن صديقاتكِ؟

قالت بخبثٍ:

ـيديرون الجحيم جيدًا.

كمال:

ـماذا؟

قالت بمزاحٍ:

ـأعني أنهم لطفاء للغاية.

ساد الصمت ثم قاطعته نغم كما كانت تفعل نرمين:

ـ كيف حالك اليوم؟

اتجه بنظره نحوها وقال:

ـأعلم عندما تبدئين بطرح الأسئلة؛ فأنت تريدين قول شيء، وللمرة الألف يمكنك إخباري دون المقدمات التي تشعرني بالرتابة!

قالت نغم:

ـتحدثت مع شاب اليوم.

نظر لها بمكرٍ:

ـفقط؟

قالت نغم:

ـوأخبرته أني أريده أن يعلمني الرسم.

كمال:

ـترسمين من الصبا! وهو مَن سيعلمك؟!

ظل ينظر لها فقالت:

ـبعض الانجذاب، ربما هو لطيف.

ضحك ثم قال بجدية:

ـنغم، اعتنيت بك وبقلبك عشر أعوام، لن أقسوعليكِ بل أرجوكِ لا تجعلي أحد يحطمه في دقيقة.

قالت بفخرٍ:

ـلا تقلق، أعتقد أنك ستحبه!

ابتسم كمال:

ـأتمنى ذلك.

****

(١٥)

مرت المشاهد كومضات أمامها؛ الأولى: لمحت نغم رأس أحدهم وراء كتاب للفلسفة فتوجهت نحوه ثم أنزلت الكتاب بعفوية وقالت:

ـمرحبًا؟

قال بجمودٍ:

ـلا.

فجلست:

ـحسنًا.

عاود النظر لكتابه، فأخذته وقالت بحَنق:

ـلست لطيفًا هكذا!

فأخذه منها بقسوةٍ:

ـلا أحب اللطفاء!

فابتسمت:

ـيبدو أننا سنتفق!

نظر لها بنظرةٍ ثاقبةٍ:

ـلا.

تنهدت:

ـليس لطيفًا كما تظن يا أبي، بل كلمة لا تزداد لطفًا عندما ينطقها.

الثانية: تقف نغم مع أصدقائها ويتحدون بعضهم بعض التحديات الجريئة، أحمد بتحذير صبياني: ـلن أرحمك يانغم.

نغم بثقةٍ:

ـلا أخاف!

أحمد بعدما ألقي نظرة حوله:

ـزين!

نغم بحنق:

ـلا! لا تمزح!

أحمد بتحدٍ:

ـبل هو، احملي كوب ماء واصطدمي به وأوقعيه على كتابه!

صمتت فقال بسخريةٍ:

ـتنسحبين؟

نظرت له بحَنَق وأخذت كوب ماء وظل الجميع منتبهًا حتى اقتربت منه وأوقعت الماء فوقه، لم يكترث بملابسه قدر ما أبعد الكتاب ونظر بأوراقه، ثم نظر لنغم بلوْم وقال:

ـأنتِ مراهقة الفكر! أتمنى أن تضحكِ الآن!

شعرت بالغيظ والأسف في آنٍ واحدٍ، هل يمكن لأحدهم أن يجعلك تود صفعة ثم تُرَبِّت علي كتفه؟

أوقفته وقالت:

ـلم أقصد!

اقترب منها ببطء وقال بصوتٍ منخفضٍ:

ـحقاً؟

ثم داس فوق حذائها بقوة حاولت ألا تظهر أي علامات، وهو يقترب منها أكثر:

ـلا تبعثي معي!

ثم رحل، كان الاقتراب منه بمثابة طعم مختلف للألم؛ مذاق حلو ولاذع!

تنهدت مجددًا:

ـليس سهل الإرضاء أو حنونًا يمكنه كسر القلوب ككسر برطمان زجاجي.

الثالثة جالس وحده ينظر في الأفق ربَّتت على كتفه.

نغم:

ـأريد أن أخبرك شيئًا.

قال:

ـاجلسي.

ترددت فنظر لي فجلست:

_ظننتك ستغضب!

قال:

_لا بأس، أنا زين، وأنتِ؟

ابتسمت تلقائيًا:

_نغم!

زين:

_ماذا كنتِ تريدين؟

نغم بثقة:

_عليك أن تعتذر لي!

قهقه زين:

_لم أعتذر مطلقًا من قبل، فمن تخالين نفسكِ؟

نغم:

_اصمت!

زين بجمود:

_تريدين أن أصمت، إذًا لمَ بدأتِ الحديث؟

نغم بحَنَق بالغ:

_أنا ذاهبة.

لم يجب، ابتعدت عدة خطوات وقالت بصوتٍ عالٍ:
ـمازلت مدين لي بالاعتذار!
التفت لها ثم أدار وجهه مجددًا دون إبداء رأي.
تنهدت بحرارة:
ـيحطم قلبي بكل دقيقة ! آسفة يا أبي.
الرابعة: جلست بجواره عند بدء المحاضرة، تتعمد عدم الفهم لتسأله، كان يجيب بودٍ مما بث بها الطمأنينة، فطلبت منه أن يشرح لها بعض المسائل التي يصعب عليها فهمها ووافق، بعد انتهاء المحاضرة، جلسا بالمدرج وحدهما قبل بداية المحاضرة التالية، فقالت له:
ـهذه، وهذه، الصفحة المقبلة كاملة، ثم هذه و....
فقاطعها زين:
ـتريدين أن أشرح لكِ كل هذا؟ هل أنتِ جادة؟
فنظرت له بخجلٍ:
ـليس كلهم، يمكنني أن أسال أحد آخر، لكنك تشرح بطريقة جيدة.
ارتسمت فوق شفاهه بسمة صغيرة اعدتها فابتسمت ،قال:
ـلا بأس.
ثم تجمد وجهه مجددًا، تعمدت استخدام الشرح كوسيلة للتقرب منه، تمحور تركيزها به فقال بجدية:
ـهل أنتِ معي؟ لن أعيد مجددًا!

فأمسكت بكتابه دون أن يلحظ ووضعته خلفها، وقالت باكتراث:

_أنا معك.

فأكمل حتى أستوقفته:

_مللت، كل هذا العلم يصيبني بالغثيان.

فقال:

_منذ أتيت هنا ظننت أنها جامعة، وفيما بعد أيقنت أنها مشفى ضخم يضم جميع المرضى الذين يمكنك تخيلهم!

ثم انفجر ضاحكًا، أما هي ساهمة بسماء ضحكاته التي تخترق شغاف قلبها.

قال لها:

_حسنًا، عليّ الرحيل.

فقالت: إلي اللقاء.

ابتعدت عدة خطوات مسرعةً، لاحظت أنه يبحث عن غرضٍ ما، فنادت اسمه "زين!" ثم لوحت بكتاب الفلسفة الذي يحرص على ألا يقترب منه أحد، ثم ركضت وهي تضحك، ركض خلفها حتى تعثرت فمد يده لها، أمسكت بكفه ونهضت، فأمسك الكتاب من يدها الأخرى ودفعها بقسوة، لم تتحرك لثوانٍ، تشعر بصدى الدفعة بأعماقها؛ هذا ما يفعله طوال الوقت! يلفظها بعنف كلما اقتربت، تندم على كل خُطوة تخطوها لأجله وتكون على أهبة الرحيل، ثم تأتي ابتسامتة لتكون عودتها.

تنهدت بأسى:

ـماذا أفعل؟ كل السبل مؤديه إليه!.

الخامسة: بعد مرور أسبوع لمحته يجلس وحده ويرسم، اقتربت، شعر بأنفاسها قريبة منه لكنه لم يعطِ اهتمامًا، عقبت:

ـيجب أن تهتم بالنسب أكثر.

التفت لها:

ـتحبين الرسم؟

فقالت:

ـأتنفسه منذ الصِّبا.

نظر للورقة وقال:

ـأسكب شعورًا فقط.

نغم:

ـتخفي أمرًا، تصارع كي تواجهه وكي تخفيه، أدميت أطرافك من الألم فكلما أقترب منك أحد أذيته، ثم ترحل عاجزًا عن التبرير أو الشرح.

زين بدهشة:

ـتبدين كأنك تدرسين التحليل النفسي جيدًا!

نغم بثقةٍ:

ـيمكنك قول أنني ابنة دكتور نفسي، بل هذا ما رأيته بهذه الخطوط المتداخلة.

زين:

ـاشتركت بدورة تدريبية منذ فترة قريبة.

نغم:

ـيمكنني مساعدتك، أنتظر سأريك شيئًا.

أخرجت هاتفها ثم جعلته يرى لوحاتها.

زين بشغف:

ـبارعة في إظهار التفاصيل، اللوحات جذبت خيطًا رفيعًا بداخلي نحوها وتعلق بها، تثير بركانًا من المشاعر.

ضحكت نغم، فلما بدأ يثني احتل كيانها كاملًا.

نغم بشغف:

ـهذة المفضلة لديّ.

تلاشت أثار الإثارة من وجهه، تجمد، فأردفت:

ـأعتقد أن أمي تحبها بشدة!

ـابتسم بجمود:

ـجيد.

نغم بريبةٍ:

ـماذا هناك؟

زين:

ـلا فقط تذكرت أمرًا، هنالك ألفة مريبة بيني وبينها!، عليّ الرحيل.

نعم بشكٍ:

_حسنًا، متى سنلتقي مجددًا؟

زين:

_غدًا، هنا!

ابتسمت عندما تذكرت أنها على موعد معه غدًا قالت بصوتٍ منخفضٍ:

_لا تقلق يا أبي، بنهاية المطاف هو لطيف!

****

(١٦)

اليوم:

خرج شريف من السجن بلا دليلٍ يعطيهم الحق في ذلك وبلا مقاومة منه، أمضي هناك عشر سنوات وشهرين، كف عن عدهم بعد مرور شهرين، بعدما طرح سؤالًا بذهنه "ماذا تنتظر؟" هكذا تساوت كافة الأمور بذهنه، فقد شعوره بالوقت، عكس غرائز البشر في البقاء ليس استسلامًا فالرغبة في الانعزال تأسره، تذكر رؤيته لكمال بالمطار، عناق كمال حطم أضلعه، قيده بالذنب بعدما كان عناق نرمين بمثابة حرية له، لم يحدث تغير بالعالم بعد سوى أنها غادرته، امتزجت روحه بالشجن، تضمر بها وحدة نتوحشه، مسلوب الإرادة، مثقل.

ذهب لمنزله ليس له وجهة محددة، يستمع لبعض الموسيقى الهادئة، يفتح حاسوبه ثم يبحث عن إيميل باسم كمال حسين كاد ييأس عندما صادف آلاف الإيميلات بذات الاسم! ثم وجده، وجد صورة له بحوذة ابنته، تلك نغم! تشبهها كثيرًا، تمنى لها حياة سعيدة ثم كتب رسالة لا تتعدى ثلاث كلمات، لحظات من التردد ثم تم الإرسال بنجاح!.

****

(١٧)

نهضت نغم بحماس مبالغ، أستعدت للخروج، تدق باب مكتب كمال:

ـصباح الخير؟

كان متوترًا على غير العادة أمام هاتفه، ثم لاحظها فتركه جانبًا.

نغم بقلقٍ:

ـهل كل شيء بخير؟

ابتسم كمال واحتضنها:

ـنعم يا عزيزتي.

نغم بشغفٍ:

ـحسنًا، جئت لأخبرك أني سأذهب الآن، لن أتاخر ياحبيبي.

طبعت قُبلة على جبينه وغادرت.

****

(١٨)

يجلس زين شاردًا، تطرق بأناملها فوق كتفه:

ـبماذا تفكر؟

ابتسم زين:

ـفيكِ.

ابتسمت نغم:

ـحقًا! فيم كنت تفكر؟

أخرج زين ورقة وأقلام وقال:

ـفي هذا.

زال أثر البهجة من وجهها قليلًا، ثم بدأت تخبره عن كيفية رسم نسب الوجه والجسد، تعطيه خبرات وملاحظات، استغرقت ساعة، ثم قالت:

ـحان دورك، ارسم لي عينين.

فعل ذلك وقال:

ـهاهي.

قالت بإعجاب:

ـجيد جدًا، لمن هذه؟

قال بجمود:

-إنه أبي.

ابتسمت بلطفٍ وقالت:

-يبدو أنك تحبه كثيرًا.

ابتسم بجمودٍ:

-لقد رحل منذ كنت صبياً، ولم أنسَ يومًا عينيه.

نغم:

-ماذا حدث؟

تنهد زين بعمق:

-بدأ الأمر عندما كنت فتى صغير ببلد آخر، أصيب بمرض في القلب، ارتفاع معدل النبضات نتيجة لمرضه بالسكري، أصبح الأمر لا يحتمل، يحتاج لعملية باهظة الثمن وضخمة، كان يعمل بائع جرائد، رهن المتجر مقابل قرض من أحدهم، جاء له أفضل جراح بالمدينة، بلا جدوى. كنت مقربًا لأبي أكثر من أمي، لم تكن تطيق الحياة معه، يوم جئتها باكيًا أخبرتني بجفاء" الألم يجب أن يواجه " لم تخبرني الوسيلة، نمت ليلتها يرتجف قلبي، ثم في الصباح لم يفارقني الشعور بأنني أمتلك قلبًا أبرد من الثلج وقتئذ، لم يمر وقت طويل حتى تركتني وتزوجت أمي فانتقلت للحياة مع عمي، يعمل بمقهى ويسكن بمبنى يجاوره تمامًا فندق فخم، أنغمست بالقراءة، أذوب بين الكتب، أُكِنّ للعالم كراهيةً لا تحصى، ثم مضى الوضع بعد ذلك مأساويًا! ربما لم يحدث كل ذلك لوعانقتني أمي يومها.

ساد الصمت لبُرْهةٍ، ثم قالت:

ـ كيف واجهت كل هذا بمفردك؟

زين بجمودٍ:

ـ كنت أَحْلُم!

نغم بعدم فهمٍ:

ـ كيف؟

زين:

ـ أَحْلُم بكل ما أريد، بأنني أنتقم، أحلق، أغني.

نغم:

ـ ليس كافيًا.

زين:

ـ هذه وسيلتي!

نغم بانفعالٍ:

ـ نصف الخُطوة أنك تحلُم والنصف الآخر التحقيق!، ومادمت قررت التحقيق عليك التقبل، أن لا تخشى التعب أو الفشل، أنت من تحدد النهاية عندما نتوقف عن المحاولة.

زين بجمودٍ:

ـ حسنًا.

نغم:

_عدني أنك ستفعل هذا!

زين:

_أعدك!

نغم:

_حسنًا.

زين:

_أتعلمين؟

نغم:

_ماذا؟

زين:

_أحيانًا أظن أن نموك توقف عند العاشرة، روحك حافلة بالحياة كأنكِ لم تتألمي من قبل! لا يعتمد أحد على الوعود سوى الأطفال، لم تتشوه روحهم بعد.

نغم:

_لا بأس، فمن يمتلكون روحًا بنكهة الطفولة وقلبًا نقيًا يجب أن يفتخروا به!

زين:

_لِمَ تحبين الرسم؟

نغم:

_أشعر بضجيج المشاعر وأطياف لأفكار تحوم حولي، يجب أن أعبر عنها، ومن جهة أخرى لأنني أواجه الألم.

زين:

_كيف؟

تنهدت نغم ببطْء:

_فقدت أمي بالثامنة، كان ينبغي أن تعود لي من رحلتها لكن الموت حجز لها كرسيًا برحلته، لم يخبرني أبي التفاصيل كاملة أبدًا، كانت تعشق التصوير، رسمت كل الصور المفضلة لديها، أتذكر آخر لوحة لي؟ كانت هذه من ضمن الصور التي التقطتها على الكاميرا خاصتها.

زين بارتباك:

_أتذكر، هل لي بطلب؟

نغم:

_بالتأكيد!

زين:

_هل يمكنني المجيء لرؤيتها؟

دهشت نغم من طلبه وقالت بحماس:

_بالتأكيد، غدًا، سيسعد والدي برؤيتك أيضًا!

زين بدهشة:

ـهل يعرفني!

توترت نغم قليلًا:

ـنعم، أخبره عن يومي بالجامعة أحيانًا.

زين:

ـحسنًا، تحدثي عن نفسك.

قالت نغم بمكرٍ:

ـلمَ! هل لديك مشاعر تجاهي؟

قال باستخفاف:

ـمشاعر!! تجاهكِ؟ لا تكوني سخيفة نحن مجرد أصدقاء!

قطّبت جبينها، بينما تسلل إليها الشعور بالضيق:

ـمجرد أصدقاء؟ حقًا؟ هذا ما أعنيه لك!لا لن نكون أصدقاء!

زين بجمودٍ:

ـلا يهم.

شعرت بغصةٍ:

ـلهذا الحد لست ذات أهمية لديك!

حاول تدارك الموقف بقوله مواسيًا:

ـأقصد المسميات، تبدو هذه الجملة مألوفة، حسنًا ربما نكون أعمق من ذلك!

تسلل إليها بصيص أمل ونظرت له:

_حسنًا.

صمتٌ دام خمس دقائق، جو مشحون ثم قالت بهدوء:

_تعطيك الحياة تجارب وفرصة تختبر بها عصارة تجاربك، لتجعلك صلبًا أمام الصعوبات، تجيد الثبات ومن ثم فرصة أخرى لتثبت لها أنك جدير بها، دائمًا يكون ما مررنا به من ألم مسبقًا دافعًا لنا لنحقق مستقبل أفضل.

زين:

_حقًا.

نظر لهاتفه ثم أردف:

_أعتقدت أننا تأخرنا.

نهضا سويًا ثم اقتربت منه وعانقته لدقيقتين وأغمضت عيناها متوسدة صدره ليترك بصماته على روحها، قال بلطف:

_أكون شخصًا قاسيًا أحيانًا، أنت الوحيدة التي جعلتني ألين.

****

(١٩)

قبل دخول نغم الغرفة تلقى كمال الرسالة من إيميل لا يعرفه "لقد فشلت العملية"، بحث عن أي معلومات تدله على مرسل هذه الرسالة، ثم وجد اسمًا شريف! تحولت عيناه إلى حيوان مفترس يرى فريسته أمامه، الدماء تصعد إلى عقله بقوة! مرحلة ما بعد الانتظار، عشر أعوام متلهفًا لتلك اللحظة التي يرى بها دماءه، يتلهف شوقًا للانتقام، كتب له "لم تفشل بعد، امهلني يومين".

بينما قرأها شريف بنفس الدقيقة، لم يحرك به ساكنًا، نفث دخان سيجارته كأنه تلقى أحد عروض الشحن من شركات الاتصال ليس رسالة تحذير.

****

(٢٠)

أتي زين، رحبت به نغم قائلةً:

_تفضل، كيف حالك؟

زين: بخير.

ثم أشارت نغم لكمال:

_أبي، هذا زين ، زين هذا أبي، أبي زين يحب قراءة علم النفس كثيرًا!

زين:

_قرأت ما يربو عن سبعين كتابًا.

تفقده كمال بعينيه ثم قال بمزاحٍ:

_أمامك الدكتور كمال، لم أقرأ سوى كتب الجامعة بل أعتقد أني لم أكملها!.

ضحك زين:

_لقد كنت أبحث عن شيء بهم.

نغم:

_أنه مثقف كثيرًا!

كمال:

_جيد.

نغم:

ـيمكنك الجلوس، سحضرها حالًا.

جلس كمال وزين.

كمال بجديةٍ:

ـهل هناك علاقة بينك وبين نغم؟

زين بجمودٍ:

ـلا.

ابتسم كمال:

ـإنني أحبها كثيرًا، أخاف أن يمس قلبها خدشًا.

ابتسم زين:

ـاطمئن، فلن أدع ذلك يحدث لها أبدًا!.

جاءت نغم ممسكة بها، قالت بتفاخر مصطنعٍ:

ـمن سينافس فان كوخ؟

تجمد وجهه وبدأت حبات العرق تتكون على معالم وجهه، رجفة طفيفة بأطرافه لاحظها كمال، ثم قال بصوتٍ منخفضٍ سمعه كمال:

ـإنها هي!!!

نغم:

ـماذا تقول؟

ارتبك وقال بتعلثم:

ـلا شيء، أنها جميلة، هل يمكنني الذهاب لأغسل وجهي؟

نغم بغرابةٍ:

ـبالتأكيد من هنا.

كمال بلطفٍ مصطنعٍ:

ـيبدو شابًا لطيفًا.

نغم:

ـلا أعلم ماذا حدث له!

كمال:

ـسأتفقده.

نغم بقلق:

ـحسنًا.

يأخذ أنفاسه بسرعة وينظر للمرآة بهلعٍ:

ـلا يمكن.

شعر بيد كمال ترَبِّت على كتفه:

ـهل هناك خطب ما؟ يمكنني المساعدة.

شعر زين برغبة في الحديث، ربما يكون مرضًا نفسيًا، فحرك رأسه بالموافقة وقال:

_هل يمكننا الحديث على انفراد؟

راود كمال الشك حيالهأ جلس على الكرسي وجعله يستلقي ويسترخي.

كمال:

_يمكنك البدء الآن، أنا أستمع.

زين يعلم حتى لو لم يصدقه لن ينعته بالجنون، أخذ نفسًا عميقًا وقال:

_بدأ الأمر بحُلم، بعد وفاة والدي بعملية جراحية، أصبحت أمقت هذا الجرّاح، إنه قاتل بنسبة لي، انتقلت للعيش برفقة عمي، كنت أنام بالغرفة وحدي، أعمل بالصباح حتى تخور قواي تمامًا بآخر اليوم فأخلد للنوم، عندما جاءت عُطلة لي قررت تغيير ديكور الغرفة، وجدت بابًا خلف الدولاب، ممر مظلم يؤدي إلي باب آخر، تحسست المقبض ثم فتحته ببطء لأجد غرفة أخرى، تحسست الجدار حتى عثرت على مقبس الضوء، لا يوجد بها سوى سرير على ما أتذكر، ولا أبواب للخارج، مناسبة للصراخ حيث لن يسمعك أحد، أخذت أضرب بيدي الحائط يمينًا ويسارًا، أريد أن يضمني أحد، أريد الانتقام، استندت للحائط أنه يتراجع! التفت بسرعة ثم وجدت باباً يفتح، إنه ممر آخر فخم جدًا، أضواء ساطعة ولا توجد هناك أصوات خرجت الهدوء مسيطر

على المكان، ثم وجدت أن هذا الباب تغطيه لوحة، أنها تلك اللوحة التي رسمتها نغم! هي تمامًا!

راوده شك لكنه طمأنه قائلًا:

ـلا تقلق ربما تراكمات بعقلك الباطن و..

قاطعه زين:

ـوجدت بينهم الجرّاح الذي قتل أبي، ثم عدت مجددًا هاربًا، واستقيظت! لم ينتهِ الحُلم هنا، كل يوم كنت أكمل جزءًا جديدًا! أخلد للنوم وأحلُم أني أقتل! أدخل الغرفة، أمسك بحقنة مخدرة والمشرط، ولن أتركه إلا عندما تقينت أنني فصلت قلبه عن باقي جسده! أمسكته بيدي، إنها نشوة الانتقام، ثم أكتب بدمه جملًا على الحائط أو الأرض! قتلت بعده أربعة أشخاص لكنني لا أعرفهم، ثم أصبح الحلم مملًا، معتادًا، يصرخون ويتضرعون، ثم أستقيظ.

شعر كمال بالسخف قليلًا:

ـلا بأس سأكتب لك بعض المهدئات.

أمسك بقلمه ولم يكد يكتب حتى قال زين:

ـالغريب بالحُلم أنني كنت أعزف على قيثارة قبل البدء، لحن أشبه بتحذير، المخيف أني عندما كنت أفيق أجد أن ملابسي وجسدي ملطخين بالدماء!!!

تصلب جسد كمال وشهق، شرد وتصلبت عيناه، سُلبت روحه، أُقتلع فؤاده، اللحظة التي ترى بها كل الأحداث أمامك بسلالة كأنها فيلمًا سينمائيًا، عندما توضع آخر قطعة بالبازل لتكتمل الصورة بذهنك!!! عقد لسانه عن النطق، كتب له شيئًا على الورقة وأعطاه له وعيناه تلمع بنشوة غير مفهمومة، أخذ زين الورقة وقرأها بصوته:

_"المخيف حقًا أنه لم يكن حُلمًا".

لمست